اي عظة عظيمة لاولي الالباب اي القلوب الصافية والعقول الوافية الشافية
ولما بين تعالي انه ينصر رسله وينصر المومنين في الدنيا والاخرة وضرب
المثال في ذلك بحال موسي خاطب بعد ذلك محمدا صلي الله عليه وسلم
بقوله تعالي فاصبر يا اشرف الخلق علي اذي قومك كما صبر موسي علي
اذي فرعون ان وعد الله اي الذي له الكمال كله حق اي في اظهار
دينك واهلاك اعدائك قال الكلبي نسختها اية القتل اية الصبر
وقوله تعالي واستغفر لذنبك اما ان يكون المصدر مضافا للمفعول
اي لذنب امتك في حقك واما ان يكون ذلك تعبدا من الله تعالي
ليزيده به درجة وليصير سنة ليستن به من بعده وسبح اي صل
ملتبسا بحمد ربك بالعشي هو من بعد الزوال والابكار قال الحسن
يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس
وذلك ان العشي من زوال الشمس الي غروبها والابكار من طلوع
الفجر الي طلوع الشمس ولما ابتدا بالرد علي الذين يجادلون في ايات
الله واتصل الكلام بعضه ببعض علي الترتيب المتقدم الي هنا نبه تعالي
علي الداهية التي تحمل الكفار علي تلك المجادلة فقال تعالي ان الذين
يجادلون اي يناصبون العداوة في ايات الله اي الملك الاعظم
الدالة علي تمام قدرته اللازم منه قدرته علي البعث الذي في تذكره
صلاح الدين والدنيا بغير سلطان اي برهان اتاهم ان اي ما في
صدورهم اي بصدورهم عن سوي السبيل قال ابن عباس ما حملهم علي
تكذيبك الا كبر اي تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم واذن ذكر
الصدور دون القلوب يعظم جدا بانه قد ملا القلوب وفاض منها
حتي شغل الصدور التي هي مساكنها ما هم ببالغيه قال مجاهد ما هم
ببالغي مقتضي ذلك الكبر لان الله تعالي مذلهم وقال ابن قتيبة ان

في

191

في صدورهم الا كبر علي محمد صلي الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم
ببالغي ذلك قال المفسرون نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلي
الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في
آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك علينا قال الله تعالي
فاستعذ اي اعتصم بالله اي المحيط بكل شي من فتنة الدجال ومن كيد
من يحسدك ويبغي عليك وغير ذلك كما عاذ به موسي لينجز لك ما
وعدك كما انجز له ثم علل ذلك بقوله تعالي انه هو اي وحده السميع اي
لاقوالهم البصير اي لافعالهم ولما وصف تعالي جدالهم في الايات بانه
بغير سلطان ولا حجة ذكر لمحمد امثال ذلك فقال لخلق السموات علي
عظمها وارتفاعها وكثرة منافعها واتساعهما والارض اي علي ما ترون
من عجايبهما وكثرة منافعها اكبر عند كل من يعقل من خلق الناس
اي خلق الله تعالي لهم لانهم شعبة يسيرة من خلقهما فعلم قطعا ان
الذي قدر علي ابتدائه علي عظمه قادر علي اعادة الناس علي
حقارتهم ولكن اكثر الناس وهم الذين يكذبون البعث وغيرهم لا يعلمون
اي لا علم لهم اصلا بل هم كالبهائم لغلبة الغفلة عليهم تنبيه
تقدير هذا الكلام ان الاستدلال بالشي علي غيره ينقسم ثلاثة اقسام
احدها ان يقال لما قدر علي الاضعف وجب ان يقدر علي الاقوي
وهذا فاسد ثانيها ان يقال لما قدر علي الشي قدر علي مثله فهذا
استدلال صحيح لما ثبت في الاصول ان حكم الشي حكم مثله ثالثها
ان يقال لما قدر علي الاقوي الاكمل قدر علي الاقل الارذل اولي وهذا
استدلال في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم ان
هولاء القوم يسلمون ان خالق السموات والارض هو الله تعالي ويعلمون
بالضرورة ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وكان من

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)